المفتي ودوره في محاربة الفكر المتطرف

بقلم

أحمد قدايمية
طالب دكتوراه في الكتاب والسنة
جامعة أدرار
ahmededaimia@gmail.com

د. عبد الرحمن العربي
أستاذ محاضر "أ" في علوم القرآن
جامعة أدرار
abderrahmanelarbi7@gmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن قضية الفتوى من القضايا المهمة في شريعتنا الإسلامية، حيث تمثل الجانب التجديدي في الشريعة، وتبرز صلاحيتها لكل زمان ومكان، مما يجعلها تساير الوقائع والأحداث المستجدة، فالمفتي ابن بيئته يعيش واقعه ويساير أحداثه، ويعرف ما يناسب زمانه من الأحكام والفتاوى، ويعالج قضايا المجتمع من خلال الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام الشرعية، مراعيا في ذلك قواعد الشرع، من غير غلو ولا جفاء.

هذا ولا يقتصر دور المفتي على استنباط الأحكام الشرعية، وبيانها للناس فقط، بل يمتد دوره إلى علاج القضايا المستجدة، والدفاع عن الشريعة الإسلامية من كل ما يمكن أن يشوبها ويشوه صورتها، بل والتصدي لكل ما يمكن أن يهدد أمن المجتمع واستقراره.

وفي خضم هذا التطور المعرفي الهائل، والتقارب بين الأفكار، فإن أخطر ما يهدد أمن المجتمعات واستقرارها، هو وفود أفكار التطرف والعنف، وهنا يبرز دور المفتي وتتجلى مكانته في التصدي لهذه الأفكار ومحاربتها، بما يمتلكه من قواعد وأصول شرعية.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث مثمنة جهود العلماء في هذا الباب، وفي الوقت نفسه مبرزة دور المفتي في محاربة الفكر المتطرف والتصدي لكل ما يشوه صورة الإسلام.

أهمية الموضوع:

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

1. كونه يعالج قضية من أهم القضايا في ديننا الحنيف، ألا وهي قضية الفتوى.
2. حاجة الناس إلى معرفة أمور دينهم وما يتعلق بمصالح حياتهم، وهذا لا يكون إلا من خلال الرجوع إلى المفتي.
3. التطور السريع الذي يشهده العالم الإسلامي، مع تعدد التوجهات الفكرية والعقدية، مما يجعل من

ظهور دور المفتي ضرورة حتمية لمواجهة هذه التحديات، وحماية الفرد والمجتمع من الانفلات العقدي والأخلاقي.

4. ولعل أهم نقطة في هذا الموضوع هو تسليطه الضوء على قضية هي من أخطر القضايا في عصرنا الحاضر، ألا وهي الفكر المتطرف وخطورته على الفرد والمجتمع.

إشكالية البحث:

في ظل المتغيرات المعاصرة وتعدد التوجهات الفكرية والعقدية، وظهور الأفكار الدخيلة على ديننا الحنيف، يبرز لنا إشكال ألا وهو:

ما دور المفتي في التصدي لهذا الفكر الدخيل أو بالأحرى الفكر المتطرف؟

أو بصيغة أخرى: كيف يتجلى دور المفتي في محاربة الفكر المتطرف والتصدي له؟

الدراسات السابقة:

أما بالنسبة للدراسات التي كان لها صلة بموضوع البحث، فقد تنوعت وتعددت، وسأذكر ثلاثة منها كان لها صلة مباشرة بموضوع البحث.

1. الدراسة الأولى: ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية لمحسن صالح ملاني صالح، وأصل هذه الدراسة رسالة ماجستير، تناول الباحث فيها مفهوم الفتوى وما يتعلق بها من ضوابط وآداب، كما تطرق إلى ذكر مفهوم المفتي والمستفتي وما يتعلق بهما من أحكام، فهي عبارة عن دراسة نظرية تقوم على جمع وترتيب للمادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع، وقد استفدت منها في ضبط مصطلحات البحث، والرجوع إلى مصادره الأصلية.
2. الدراسة الثانية: مفهوم الفتوى في الإسلام للسر الجيلاني الأمين حماد بحث مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمام المهدي بجمهورية السودان، تطرق الباحث إلى بيان مفهوم الفتوى وأهميتها، كما تطرق إلى بيان قواعد الفتوى وصفات المفتي، وعرج بعد ذلك إلى بيان أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع أثر الفتوى في النفوس، كما بين أثر الفتوى في تحقيق وسطية الأمة، وهذان المبحثان الأخيران مهمان ولهما علاقة بموضوع البحث.
3. الدراسة الثالثة: التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة: نادى محمود حسن، مداخلة علمية ضمن المؤتمر الدولي السابع والعشرون، بعنوان: دور القادة وصانعي القرار في نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب والتحديات، بإشراف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وقد تناول فيها الباحث مفهوم التطرف الفكري، وأبرز أسبابه ومظاهره، كما تناول سبل مواجهته والحد من انتشاره.

المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع المنهج التحليلي، وذلك من خلال جمع ما يتعلق بهذا الموضوع، وتحليله

وفق الضوابط العلمية المنتهجة في هذا الباب، وهذا للخروج بجواب واضح لإشكال البحث.

خطة البحث:

مقدمة

المبحث الأول: مفهوم الفتوى وما يتعلق بها

المطلب الأول: مفهوم الفتوى وضوابطها

المطلب الثاني: تعريف المفتي وشروطه

المطلب الثالث: الفكر المتطرف

المبحث الثاني: دور المفتي في محاربة الفكر المتطرف

المطلب الأول: بيان مكانة العلماء ومنزلتهم في الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني: دور المفتي في محاربة الفكر المتطرف

خاتمة وتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

وفي الأخير فإني أتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة المشرفة على هذا الملتقى، سائلا الله عزوجل أن يؤتي هذا الملتقى ثماره، ونخرج بنتائج تسهم في إثراء البحث العلمي.

تصريح:

هذا وقد تم إنجاز هذا البحث خصوصا للمشاركة به في الملتقى الدولي الرابع حول:

صناعة الفتوى في ظل التحديات المعاصرة، والذي سيعقد يومي : 15 و 16 ربيع الأول 1441هـ الموافق لـ 13 و 14 نوفمبر 2019م، بجامعة الوادي.

المبحث الأول

مفهوم الفتوى وما يتعلق بها

في هذا المبحث سنتطرق إلى بيان مفهوم الفتوى، وأهم ضوابطها، ثم نتطرق إلى تعريف المفتي، وبيان أهم شروطه والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه، وبعد ذلك نعرج للحديث عن مفهوم الفكر المتطرف، مع بيان الفكر المتطرف المعاصر.

المطلب الأول: مفهوم الفتوى وضوابطها

الفرع الأول: تعريف الفتوى

1_ الفتوى لغة: أصل كلمة الفتوى "فتى"، ولها في معاجم اللغة عدة معان: منها الإبانة، يقال: أَفْتَاه فِي الأَمر: أَبانَه لَهُ. وأَفْتَى الرجلُ فِي المسأَلة واسْتَفْتَيْته فِيهَا فأَفْتَانِي إِفْتَاء. وفُتًى وفَتْوَى: اسْمَانِ يُوضَعَانِ مَوْضِعَ الإِفْتاء. وَيُقَالُ: أَفْتَيْت فُلَانًا رُؤْيَا رَآهَا إِذا عَبَّرْتَهَا لَهُ، وأَفْتَيْتُه فِي مسأَلته إِذا أَجبته عَنْهَا.

ويُقَالُ: أَفْتَاه فِي المسأَلة يُفْتِيه إِذا أَجابه، وَالِاسْمُ الفَتْوَى.

قَالَ: والفُتْيَا تبيين المُشْكِلِ مِنَ الأَحكام، أَصله مِنَ الفَتَى وَهُوَ الشَّابُّ الْحَدَثُ الَّذِي شَبَّ وقَوِي، فكأَنه يُقَوّي مَا أَشكل بِبَيَانِهِ فيَشِبُّ وَيَصِيرُ فَتِيّاً قَوِيًّا، وأَصله مِنَ الفَتَى وَهُوَ الْحَدِيثُ السِّنِّ. وأَفْتَى الْمُفْتِي إِذا أَحدث حُكْمًا[1].

وأفتى الفقيه في المسألة، إذا بين حكمها.[2]

2_ الفتوى اصطلاحا: وردت عدة تعاريف لمصطلح الفتوى، غالبها يدور على معنى واحد وهو إظهار وبيان الحكم الشرعي للسائل.

جاء في كتاب التعريفات الفقهية، الفتوى: هي الحكم الشرعي يعني ما أفتى به العالم، وهي اسم من أفتى العالم إذا بيَّن الحكم[3].

وعرَّفها بعضهم بقوله: الفتوى: هي جواب المفتي.[4]

وهي أيضا: ذكر الحكم المسئول عنه للسائل.[5]

الفرع الثاني: ضوابط الفتوى

للفتوى ضوابط ينبغي مراعاتها، وهذا حتى يكون لها ثمرتها وأثرها في النفوس، ومن هذه الضوابط[6]:

الأول: أن تكون الفتوى صادرة من مفت مؤهل، وهذا حتى تكون منضبطة بالضوابط الشرعية من جهة، ومن جهة أخرى حتى يكون لها أثرها في النفوس.

الثاني: أن تكون الفتوى موافقة للنصوص القاطعة، لأنها إذا خالفت النصوص القطعية، فإنه لا يعمل بها.

الثالث: أن تكون الفتوى صادرة من الكتب المشهورة، لأنها أسلم من التحريف والتزوير، وأبعد عن الشذوذ والانحراف.

الرابع: أن تكون الفتوى موافقة لعرف المستفتي، لأن الألفاظ تختلف من بلد لآخر، والأعراف تختلف، فعدم مراعاة هذا الأمر فيه تضيق على الناس.

المطلب الثاني: تعريف المفتي وذكر شروطه

في هذا المطلب نتطرق إلى تعريف المفتي اصطلاحا ثم نعرج للحديث عن أهم شروطه وصفاته.

الفرع الأول: تعريف المفتي

المفتي هو من يتصدى للفتوى بين الناس،[7] ويظهر الأحكام الفقهية.

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، ج: 15، ص: 148، مادة: فتا.

[2] مجمل اللغة: ابن فارس، ج: 1، ص: 711، مادة: فتى. وانظر: معجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، ج: 2، ص: 673.

[3] التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ص: 162.

[4] أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله الحنفي، ص: 117.

[5] التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المناوي، ص: 256.

[6] انظر: ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية: محسن صالح ملاني، ص: 81 وما بعدها.

[7] القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب، ص: 281

وقيل في تعريفه أيضا: هو الْمخبر بِحكم الله تَعَالَى لمعرفته بدليله هُوَ الْمخبر عَن الله بِحكمِهِ، وَقيل: هُوَ المتمكن من معرفَة أَحْكَام الوقائع شرعا بِالدَّلِيلِ مَعَ حفظه لأَكْثر الْفِقْه[1]

ويقال له أيضا العالم والمجتهد وغيرها من التسميات المرادفة لمعنى المفتي.

الفرع الثاني: شروط وصفات المفتي

لما كان منصب الإفتاء في الشريعة الإسلامية منصبا ذا شأن عظيم ومنزلته عالية، كان لزاما على المتصدر له أن يكون على أحسن حال وأكمل هيئة، إذ هو في مقام التوقيع عن الرب العالمين، ولهذا وضع العلماء شروطا وضوابط وأوصافا ينبغي أن يلتزم بها من يريد الولوج في هذا الميدان.

1_ شروط المفتي:

هناك شروط ينبغي أن تكون في المفتي حتى يتأهل لمنصب الإفتاء، وهذ بعد كونه مسلما بالغا، ومن هذه الشروط[2]:

1. العلم بالقرآن الكريم وذلك أن القرآن هو المصدر الأول في تشريع الأحكام وهو عمدة الشريعة وأصل أدلتها، وأول مصادر التشريع وأهمها، وجميعها راجعة إليه، إما في البيان والتوضيح، وإما لاعتبارها حجة ومصدرا لدلالة القرآن عليها[3]، هذا ولا يشترط أن يكون حافظا للقرآن كله، بل يكفي أن يكون عالما بمعني آيات الأحكام لغة وشرعا، ولا يلزمه حفظه لها، بل يكفي أن يعرف مواضعها ومواقعها حتى يتسنى له الرجوع إليها عند الحاجة[4]، وأيضا ينبغي أن يعرف بعض علوم القرآن التي لها علاقة بمعرفة الأحكام كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها.
2. العلم بالسنة النبوية لأنها المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، ولأنها مفسرة لمجمله، ومقيدة لمطلقه، ومخصصة لعامه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]، وهي أيضا مثل القرآن لا يشترط أن يكون حافظا لجميع الأحاديث، وإنما يكفيه معرفة الأحاديث التي تدور عليها الأحكام، مع كثرة الاطلاع والنظر في شروح العلماء وأقوالهم، كما ينبغي عليه أن يكون ملما ببعض العلوم التي لها علاقة بالسنة النبوية كمعرفة الصحيح والضعيف والمقبول والمردود والناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم ذات الصلة باستنباط الأحكام.
3. العلم بمسائل الإجماع والخلاف: وهذا حتى يتميز عند المفتي مواقع الإجماع فلا يفتي بخلافه، ومواقع الخلاف حتى يمكن اختيار وجوهه، واختيار ما هو أليق وأنسب بموقفه وعصره.

---

[1] صفة الفتوى والمفتي والمستفتي: أبو عبد الله أحمد بن حمدان الحنبلي، ص: 4.

[2] انظر: ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية: محسن صالح ملاني، ص: 129 وما بعدها.

[3] فتح المأمول شرح مبادئ الأصول: محمد علي فركوس، ص: 88.

[4] المصدر نفسه، ص: 201.

4. العلم بالقياس: وذلك بمعرفة شروطه وأركانه وأقسامه ومسالك العلة وعلل الأحكام وكيفية استنباطها من الأدلة الشرعية وأصول الشرع الكلية، لأن القياس قاعدة الإفتاء، ومن لا يعرف القياس لا يتمكن من الاستنباط.
5. العلم باللغة العربية: وما تفرع عنها من علوم كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها، وذلك أنها أساس الفهم والاستنباط.

2_ صفات المفتي:

بعدما ذكرنا شروط المفتي، نذكر بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي ومن هذه الصفات[1]:

1. العدالة في الأقوال والأفعال، والعدالة هي الاستقامة في طريق الحق بتجنب ما هو محظور في دينه[2]، وقيل هي: ملكة أي هيئة راسخة في النفس تمنعها عن اقتراف الكبائر.[3]، والعدالة من الصفات المجمع عليها، إذ خبر الفاسق مردود ولو كان ذا علم.
2. أن يكون حسن الطريقة وسليم المسلك مرضي السيرة حتى يقبل الناس أقواله، ويثقوا في أحكامه.
3. رؤيته لنفسه بأنه أهل لهذا المنصب وشهادة الناس له بذلك، كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك.[4]
4. أن تكون له نية، وذلك أن يبتغي بفتواه وجه الله عزوجل لا طمعا في مال ولا جاه ولا خوفا من سلطان، وما أشبه ذلك من الأغراض.
5. أن يكون على علم وحلم ووقار وسكينة، فالعلم حتى لا يفتي الناس عن جهل، والحلم حتى يقابل به إساءة الناس وجفاءهم، والوقار والسكينة حتى يعظم في نفوسهم.
6. أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته أي: متمكنا في العلم غير ضعيف فيه، حتى يقول الحق من غير خوف ولا إحجام.
7. الكفاية وإلا مضغه الناس وذلك بأن يكون له ما يكفيه ويسد حاجته، حتى يستغني عن الناس.
8. معرفة الناس وأحوالهم، وهذا حتى لا ينطلي عليه مكرهم وخداعهم، وكذا حتى يعرف ما يصلح لهم.
9. أن يكون متنزها من خوارم المروءة، فقيه النفس سليم الذهن، حسن التصرف والاستنباط متأنيا في فتواه.

---

[1] ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية: محسن صالح ملاني، ص: 116 وما بعدها، أدب المفتي والمستفتي: أبو عمرو ابن الصلاح، ص: 86.

[2] التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المناوي ص: 237

[3] الغيث الهامع شرح جمع الجوامع: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، ص: 432

[4] الفقيه و المتفقه: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ج: 2، ص: 325.

المطلب الثالث
الفكر المتطرف

الفرع الأول: مفهوم الفكر المتطرف

1. **مفهوم التطرف لغة: أصل كلمة التطرف في اللغة الطرف ومعناه حد الشيء وحرفه، يقال: طرف الشيء والثوب والحائط. ويقال ناقة طرفة: ترعى أطراف المرعى ولا تختلط بالنوق[1].**

ومن خلال هذا التعريف نفهم أن مصطلح التطرف يراد به الخروج عن حد التوسط والاعتدال.

2. أما مفهوم التطرف في الاصطلاح: فهو مجموعة الأفكار التي تتسم بالغلو، ويدين بها بعضهم، مع ما فيها من الخروج عن القواعد الفكرية أو الثقافية التي يقبلها المجتمع ولا يأباها الشرع[2]

فالتطرف عموما هو الغلو سواء كان في فكر أو رأي أو مذهب، وهو مذموم شرعا وعقلا.

الفرع الثاني: أسباب التطرف الفكري [3]

هناك عدة أسباب وعوامل أسهمت في وجود الفكر المتطرف أو التطرف الفكري، وهذه الأسباب منها ما هو قديم ومنها ما حدث عصرنا الحاضر، وسنذكر أهم العوامل والأسباب التي أسهمت في ظهور هذا الفكر.

أ_ الجهل بالإسلام: ولعل هذا من أهم الأسباب في ظهور التطرف الفكري وذلك أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال، وهو الدين الذي يتناسب مع الفطرة السليمة والأخلاق الرفيعة والمبادئ العامة، فالجهل بالإسلام وتعاليمه ومبادئه، هو جهل بالمنهج الوسطي المعتدل، والآفة الكبرى أن يُفهَم الإسلام فهما غير صحيح، مما يؤدي بأصحابه إلى الغلو في بعض أحكامه تارة، وبالتفريط فيها تارة أخرى.

ب_ تلقي العلم عن غير أهله: مما لا شك فيه أن الإنسان يتأثر بغيره كما أنه يؤثر في غيره، ولعل أشد من يتأثر بهم هم الذين يعلمونه ويوجهونه وخاصة الشباب فإنهم أسرع إلى التأثر بغيرهم، ولهذا كان تلقي العلم عن أهله صمام أمان ضد اي انحراف أو فهم خاطئ، لهذا قال تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، فأرشد سبحانه إلى سؤال أهل الذكر الذين هم أهله والحاملين لرايته.

ولهذا كان الغالب فيمن حمل فكرا متطرفا لاسيما من جهة الغلو، إنما هو نتاج تعليم غير صحيح، أو توجيه من أصحاب الأفكار المتطرفة الذين تصدروا وسائل الإعلام وظهروا للناس على أنهم دعاة وعلماء، وحقيقة أمرهم أنهم أصحاب فكر متطرف، ومنهج مخالف لتعاليم الإسلام.

ت_ الارتباط بالأشخاص لا بالفكرة: وهذا أيضا من الأسباب التي أدت إلى ظهور الفكر المتطرف، وذلك أن المسلم مأمور باتباع ما جاء في الكتاب والسنة، وأن التعصب لا يكون إلا للوحي المعصوم، واتباع العلماء

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ج: 3، ص: 447.

[2] التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة: نادى محمود حسن، ص: 6.

[3] انظر هذه الأسباب وغيرها: الانحراف والتطرف الفكري: أحمد مبارك سالم، ص: 2، وكذا: التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة: نادى محمود حسن، ص: 8.

ليس لذاتهم وإنما باعتبارهم الناقلون لهذا الوحي والذين يوصلون معانيه ويسهلونها حتى يفهمها الناس.

لكن أن يجعل العالم أو الداعية أو أي شخص آخر مهما كانت منزلته حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في منزلة المعصوم يتعصب لقوله ورأيه دون عرضه على الكتاب والسنة، بل يدافع عن هذا القول حتى يجعل الولاء والبراء لذات الشخص، فهنا والحالة هذه يظهر خطر التطرف والميل عن الوسطية والاعتدال، ومن أراد أن يعرف حقيقة هذا الأمر فينظر ما وصل إليه متعصبة المذاهب، حتى بلغ ببعضهم الأمر إلى رد السنة الصريحة لمجيئها مخالفة لقول إمامهم، وهذا فيه ما فيه من الجناية على الإسلام وأهله.

ث_ فراغ الشباب وصعوبة المعيشة: وهذا السبب من أكثر الأسباب التي تولد الفكر المتطرف، وذلك أن الشاب وهو في مقتبل العمر وفي كامل نشاطه وحيويته إذا لم يصرف هذه الطاقة الموجودة داخله في ما ينفعه، فإنه لا شك سيصرفها في ما يضره ويضر مجتمعه، ولا سيما مع وجود وسائل التواصل الاجتماعي والتي صارت الملجأ الوحيد للشباب حيث يقضي الشاب جل وقته مع هذه الوسائل ناهيك عن كونها قاتلة للأوقات، فهي من أكبر الأبواب لورود أفكار التطرف التعصب المخالفة لشريعة الإسلام، فهنا يصير هذا الشاب بين أن يكون عالة على المجتمع بالتفريط وترك العمل أو خنجرا في خاصرة أمته يهدد أمنه واستقراره.

فهذه بعض الأسباب التي تؤدي إلى ظهور وانتشار الفكر المتطرف في أوساط المجتمع لا سيما فئة الشباب والتي هي أكثر فئات المجتمع تأثرا بهذا الفكر.

الفرع الثالث: الفكر المتطرف المعاصر

لئن كان التطرف يشمل التفريط والإفراط أو الغلو معا، إلا أنه غالبا ما يطلق ويراد به جانب واحد وهو الغلو، لأن هذا الأخير أشد ضررا وأخطر على الأمة، لما يشكله من تهديد على أمن المجتمع واستقراره، ولا سيما إذا كان الغلو في الدين فهو أخطرها، وأشدها ضررا، كونه يتسمى باسم الدين، "وفي هذه الأزمنة المتأخرة أطلَّت في ربوع العالم الإسلامي فتن عظيمة، هزت قلوب أهل الإيمان، تجلت في بزوغ منهج الخوارج، وهذا المذهب الخبيث من أشد ما ابتليت به الأمة منذ مقتل أمير المؤمنين الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى يومنا هذا"[1].

وسبب بزوغ هذا الفكر المتطرف والمنهج الخبيث، هو الانحراف الوخيم في منهج الاستدلال، مما أدى بأصحاب هذا الفكر إلى "تفسير الإسلام تفسيرا سياسيا بعيدا عن القواعد والأصول الشرعية، وكان هذا التفسير هو الخلل الوخيم، والأمر الجسيم الذي عانت منه الأمة"[2]، حيث صوروا للناس وخصوصا الشباب أن الإسلام في صراع مع الحكام، وأن المسلم مأمور بأن يسعى لإقامة الخلافة الراشدة، وهذه لا تكون إلا بالجهاد ورفع السلاح في أوجه الحكام.

هذا وللفكر المتطرف عدة مظاهر أبرزها التعصب للرأي، وعدم الرغبة في الحوار والنقاش الهادئ مع

[1] القصة الكاملة لخوارج عصرنا (القاعدة _ داعش وأخوتها): إبراهيم بن صالح المحيميد، ص: 7.
[2] المصدر نفسه، ص: 19.

المخالف، كما يتجلى أيضا في التشدد والغلو في الرأي، والخشونة في الأسلوب، والغلظة في التعامل، يصحب ذلك سوء الظن بالآخرين، مع العجلة في إصدار الأحكام، وغير ذلك من المظاهر[1].

وبسبب هذا الغلو والتطرف استبيحت دماء أهل القبلة، وانتهكت أعراضهم، باسم الجهاد وإقامة دولة الإسلام، فإلى الله المشتكى.

ولهذا السبب كان تركيزنا في حديث عن التطرف على جانب الغلو لما كان له من الأثر السيء على المجتمع

فهذا كله مما يجعل التبعة على العلماء والمفتين كبيرة، في بيان خطر هذا الفكر، وانحراف أصحابه عن الفهم الصحيح للإسلام، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

دور المفتي في محاربة الفكر المتطرف

في هذا المبحث نتطرق إلى بيان دور المفتي في التصدي للفكر المتطرف ومحاربته، وقبل ذلك نبين منزلة المفتي في الشريعة الإسلامية، وأهم مميزات الفتوى.

المطلب الأول: منزلة المفتي الشريعة الإسلامية ومميزات الفتوى

الفرع الأول: منزلة المفتي في الشريعة الإسلامية

لقد حظي العلم والعلماء في الشريعة الإسلامية بمكانة عالية ومنزلة رفيعة، وما ذاك إلا لأنهم ورثة الأنبياء، وحاملو راية الدين بعدهم، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة في بيان فضلهم ومنزلتهم منها على سبيل المثال:

1_ قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١

2_ وقوله تعالى:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ آل عمران: ١٨

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَالْمَلَائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[2].

فهذه النصوص وغيرها تبين مكانة العلماء ومنزلتهم في الدين، لهذا ينبغي للعالم والمفتي أن يعرف قدر هذه المسؤولية التي أنيطت به، فهو المبلغ عن الله، وهو الواسطة بين الناس وبين شرع الله في بيان الأحكام

[1] انظر: التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة، ص: 13 وما بعدها.

[2] أخرجه ابن حبان في "صحيحه"، كتاب العلم ، ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل، برقم: 88، وأبو داود في "سننه"، كتاب العلم ، باب في فضل العلم، برقم: 3641، والترمذي في "جامعه"، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم: 2682.

وتوضيحها، فعليه بذل النصح للناس والصبر على أذاهم.

هذا ولما كان العلماء بهذه المنزلة وهذه المكانة فهم الهدف الأول لأصحاب الأفكار المتطرفة لأنهم صمام الأمان، والحصن الحصين للمجتمع من مثل هذه الأفكار وأصحابها، لذا لا نستغرب عندما نرى أصحاب هذا الفكر يسعون سعيهم لتشويه صورة العلماء ونزع الثقة منهم، فتارة يتهمونهم بالعمالة ومداهنة السلاطين والحكام، وتارة أخرى يتهمونهم بأنهم لا يفقهون الواقع، إلى غير ذلك من الأساليب وهدفهم واحد، وهو إسقاط العلماء، وفي المقابل يسعون لإحلال أشخاص آخرين محلهم، وذلك بتلميع صورته في الإعلام وتقديمه للناس على أنهم هم العلماء وأهل الفتوى، وفي هذا السياق يقول الشيخ صالح فوزان -مجيبا عن سؤال يتعلق بحكم الاستخفاف بالعلماء ورميهم بالمداهنة- قال حفظه الله: "يجب احترام علماء المسلمين، لأنهم ورثة الأنبياء، والاستخفاف بهم يعتبر استخفافا بمقامهم، ووراثتهم للنبي صلى الله عليه وسلم واستخفافا بالعلم الذي يحملونه. ومن استخف بالعلماء استخف بغيرهم من المسلمين من باب أولى، فالعلماء يجب احترامهم لعلمهم ومكانتهم في الأمة، وإذا لم يوثق بالعلماء فبمن يوثق؟ وإذا ضاعت الثقة بالعلماء فإلى من يرجع المسلمون لحل مشاكلهم ولبيان الأحكام الشرعية؟ وحينئذ تضيع الأمة، وتشيع الفوضى"[1]

بل وصل الأمر ببعضهم إلى تكفير علماء عصرنا ممن وقف في وجوه أصحاب هذا الفكر المحرف، وحذر منه ومن أصحابه، فكفروا الشيخ ابن باز والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين، ورأوا أن من لم يكفر هؤلاء العلماء فهو كافر[2]، وهذا كله نتيجة هذا الفكر المتطرف والغلو الشنيع، والله المستعان.

الفرع الثاني: مميزات الفتوى

إن للفتوى دورا كبيرا في حماية الفرد والمجتمع من الانفلات الفكري والعقدي، وهذا إذا كانت الفتوى منضبطة بالضوابط الشرعية وصدرت من أهلها، فإذا توفر فيها هذان الشرطان كان لها الأثر البالغ في نفوس الأفراد، وذلك أن الفتوى تتميز بكونها مختصرة مما يسهل فهمها واستيعاب مضمونها، كما يسهل نشرها وتداولها بين الأفراد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كونها صادرة من أشخاص هم في الغالب محل ثقة عند الناس، خاصة إذا كان ينتمون لمؤسسة حكومية، وصدرت الفتوى موقعة من قبل مجموعة من العلماء فهذا يجعلها مقبولة في أوساط الناس.

فهذه الميزات وغيرها تجعل الفتوى ذات تأثير كبير في نفوس عامة الناس، وهذا بخلاف المؤلفات المستقلة في بيان الأفكار المتطرفة والتحذير منها، فهذه الأخير وإن كان دورها لا ينكر في حماية الفرد والمجتمع إلا أن تأثيرها مقصور على فئة معينة، وذلك لكونها تتميز بالطول وتنوع مباحثها، كما أن انتشارها قد يكون في حدود معينة، ناهيك أن أصحابها قد لا يكون لهم ذلك الصيت بين الناس، ولا ذاك الأثر في نفوسهم.

---

[1] الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، صالح بن فوزان الفوزان، ج: 1، ص: 28.

[2] انظر القصة الكاملة لخوارج عصرنا (القاعدة _ داعش وأخوتها): إبراهيم بن صالح المحيميد، ص: 143.

المطلب الثاني: دور المفتي في محاربة الفكر المتطرف

لا شك أن العلماء في كل زمان ومكان هم حماة الدين ورافعو رايته، فهم أمان الأمة وحصنها الحصين، وهم في الوقت نفسه مرجع الناس في معرفة الأحكام وما يستجد عليهم من المشاكل والملمات، ولهذا كان لزاما على المفتي في عصرنا الحاضر أن يتصدى لكل فكر متطرف، ورأي مخالف لشريعة الإسلام، هذا ويمكن إبراز دور المفتي في التصدي للفكر المتطرف النقاط التالية:

1. بيان وسطية الإسلام وسلامته من الأفكار المتطرفة:

مقام الإفتاء في الشريعة الإسلامية مقام عالي الشأن رفيع المنزلة، والمفتي كما قال عنه ابن القيم ـ رحمه الله ـ: خطر المفتي عظيم فإنه موقع عن الله ورسوله، زاعم أن الله أمر بكذا وحرم كذا أو أوجب كذا"[1]، فهو ممثل الإسلام، ووارث مقام البيان عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا ينبغي للمفتي أن يدرك هذا الأمر، ويسعى لتمثيل الإسلام في أحسن صورة للمسلمين وغير المسلمين، فيبرز محاسنه ويبين فضائله، ويظهر للناس سماحته وسهولته، وذلك من خلال أقواله وأفعاله وفتاويه.

كما ينبغي للمفتي أن يستحضر قواعد الشرع في فتاويه، كقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، وكذا قاعدة المشقة تجلب التيسير، وغيرها من قواعد شريعتنا السمحة، مراعيا في ذلك أحوال الناس وأعرافهم.

وينبغي أن يكون من أولى أوْلَوِياته المفتي بيان وسطية الإسلام وبُعده عن أفكار التطرف والغلو ، مسترشدا في ذلك بما ورد في نصوص الكتاب والسنة الداعية إلى الوسطية ونبذ التطرف، ومن هذه النصوص:

1 _ قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: 6ـ7.

ووجه دلالة الآية: أنه سبحانه وصف الصراط المستقيم بأنه غير صراط المغضوب عليهم، وهم اليهود أهل الغلو في الدين، وغير صراط النصارى، وهم أهل الغلو في الرهبانية والتعبد، حتى خرجوا عن حدود الشرع، فإذا كان الصراط المستقيم غير صراط اليهود والنصارى، وكان صراط اليهود والنصارى صراط غلو في الدين، دل ذلك على أن الصراط المستقيم صراط لا غلو فيه، فهو بين طرفين: إفراط وتفريط، وهذا هو معنى الوسطية التي هي منهاج الدين الإسلامي.[2]

2 _ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣ قال عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: "أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى. وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، ج: 4، ص: 144.

[2] بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو: مجموعة من العلماء، ص: 20.

لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها" اهـ.[1]

3 _ وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[2].

والمتنطعون هم: الْمُتَمنعونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ[3] .

4 _عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[4]

ووجه الدلالة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن التشدد في العبادة ليس من سنته؛ فإذا كان التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى[5].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: " قَوْلُهُ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره. والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل. وقوله: " فَلَيْسَ مِنِّي " إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي " أي: على طريقتي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضا وتنطعا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي ": ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر. وقال الطبري: فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس، وآثر غليظ الثياب وخشن المأكل. قال عياض: هذا مما اختلف فيه السلف: فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري، ومنهم من عكس

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: 70

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم: 2670.

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ج: 16، ص: 220.

[4] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم: 5063، ومسلم في "صحيحه"، كتاب النكاح، برقم: 1401.

[5] بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو: مجموعة من العلماء، ص: 34.

واحتج بقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] قال: والحق أن هذه الآية في الكفار، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالأمرين. قلت: لا يدل ذلك لأحد الفريقين إن كان المراد المداومة على إحدى الصفتين، والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات؛ لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحيانا، فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحظور كما أن منع تناول ذلك أحيانا يفضي إلى التنطع المنهي عنه، ويرد عليه صريح قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الأعراف: ٣٢ .

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلا، وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير الأمور الوسط ". اهـ[1]

فهذه النصوص وغيرها كثير، تدعو إلى الوسطية والاعتدال، وتبين أن الإسلام دين وسط ليس فيه غلو ولا تطرف، وهذا ما ينبغي للمفتي أن يسعى لإبرازه وبيانه والدعوة إليه سواء بقوله أو فعله.

ولعلي أذكر مثالا من الفتوى التي تبين وسطية الإسلام وبعده عن التطرف وهي فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، حيث سئل هذا السؤال: شاع في بعض وسائل الإعلام المختلفة اتهام شباب الصحوة بالتطرف وبالأصولية، ما رأي سماحتكم في هذا؟

فكان جوابه رحمه الله: هذا على كل حال غلط جاء من الغرب والشرق، من النصارى، والشيوعيين، واليهود، وغيرهم ممن ينفر من الدعوة إلى الله عز وجل وأنصارها، أرادوا أن يظلموا الدعوة بمثل التطرف، أو الأصولية أو كذا أو كذا مما يلقبونهم به، ولا شك أن الدعوة إلى الله هي دين الرسل، وهي مذهبهم وطريقهم، وواجب على أهل العلم أن يدعوا إلى الله، وأن ينشطوا في ذلك، وعلى الشباب أن يتقوا الله، وأن يلتزموا بالحق، فلا يغلوا ولا يجفوا، وقد يقع من بعض الشباب جهل فيغلون في بعض الأشياء أو نقص في العلم فيجفون، لكن على جميع الشباب وعلى غيرهم من العلماء أن يتقوا الله، وأن يتحروا الحق بالدليل، قال الله عز وجل، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يحذروا من البدعة والغلو والإفراط، كما أن عليهم أن يحذروا من الجهل أو التقصير، وليس أحد منهم معصوما، وقد يقع من بعض الناس شيء من التقصير بالزيادة أو النقص، لكن ليس ذلك عيبا للجميع، إنما هو عيب لمن وقع منه، ولكن أعداء الله من النصارى وغيرهم، ومن سار في ركابهم جعلوا هذه وسيلة لضرب الدعوة والقضاء عليها باتهام أهلها بأنهم متطرفون أو بأنهم أصوليون، وما معنى أصوليين؟ وإذا كانوا أصوليين بمعنى: أنهم يتمسكون بالأصول، وبما قال الله وقال الرسول فهذا مدح وليس ذما، التمسك بالأصول من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مدح وليس بذم، وإنما الذم للتطرف أو الجفاء: إما التطرف بالغلو، وإما التطرف بالجفاء والتقصير، وهذا هو الذم. أما الإنسان الملتزم بالأصول المعتبرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا ليس بعيب، بل مدح وكمال، وهذا هو الواجب على طلبة العلم والداعين إلى الله: أن يلتزموا بالأصول من كتاب الله وسنة رسوله

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج: 9، ص: 105.

صلى الله عليه وسلم، وما عرف في أصول الفقه، وأصول العقيدة، وأصول المصطلح فيما يستدل به وما يحتج به من الأدلة، لا بد أن يكون عندهم أصول يعتمد عليها، فضرب الدعاة بأنهم أصوليون هذا كلام مجمل ليس له حقيقة إلا الذم والعيب والتنفير، فالأصولية ليست ذما، ولكنها مدح في الحقيقة، إذا كان طالب العلم يتمسك بالأصول ويعتني بها ويسهر عليها من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما قرره أهل العلم فهذا ليس بعيب، أما التطرف بالبدعة والزيادة والغلو فهو العيب، أو التطرف بالجهل أو التقصير فهذا عيب أيضا، فالواجب على الدعاة أن يلتزموا بالأصول الشرعية ويتمسكوا بالتوسط الذي جعلهم الله فيه، فالله جعلهم أمة وسطا، فالواجب على الدعاة: أن يكونوا وسطا بين الغالي والجافي، بين الإفراط والتفريط، وعليهم: أن يستقيموا على الحق، وأن يثبتوا عليه بأدلته الشرعية، فلا إفراط وغلو، ولا جفاء وتفريط، ولكنه الوسط الذي أمر الله به"[1].

فهذه الفتوى فيها بيان وسطية الإسلام وبعده عن التطرف سواء كان غلوا أو تفريطا، وهذا ما ينبغي للمفتي أن يكون عليه في فتاويه.

2. تحذير فئات المجتمع وخصوصا الشباب من الأفكار المتطرفة:

في ظل هذا التطور السريع الذي يشهده العالم ومع تطور وسائل الاتصال، ما جعل تبادل الأفكار والآراء بين فئات والمجتمع وأطياف الناس أمرا سهلا وميسورا، يتجلى الخطر العظيم والمتمثل في وفود أفكار التطرف والعنف إلى أوساط مجتمعاتنا المسلمة، وخصوصا الشباب، فهم أقرب الناس إلى التأثر بمثل هذه الأفكار، وخاصة إذا كانت في طابع الدفاع والغيرة على الدين، مما يجعل الشباب يتحمس إلى تبنيها والعمل بها.

في وسط هذه الظروف والمتغيرات يبرز دور المفتي بكونه الموجه والمرشد، فيتصدى لمثل هذه الأفكار ويبين بطلانها ومخالفتها لشريعة الإسلام، ويحذر فئات المجتمع من تبنيها والدخول في متاهاتها.

فليس دور المفتي قاصرا على بيان وسطية الإسلام واعتداله بقدر ما يكون في التحذير مما يضاده وينافيه، ولا سيما ما يتعلق بالغلو والتطرف، والدعوة إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض باسم الجهاد في سبيل الله،

وعليه يمكن بيان دور المفتي في التحذير من الفكر المتطرف في النقاط التالية:

_ النصيحة للمسلمين وخصوصا الشباب وتذكيرهم بخطورة التطرف.

_ التحذير من الأفكار المتطرفة، بجميع أنواعها وبيان أنها مخالفة لمبادئ ديننا الحنيف

_ التحذير من الأشخاص الذين يحملون هذه الأفكار المتطرفة، وذكرهم بأسمائهم إن دعت الحاجة، فإن خشي من ذكر أسمائهم وقوع مفسدة ما، فيكتفي بذكر كلامهم والرد عليه.

_ التحذير من الكتب التي تحمل أفكار التطرف، وبيان ما فيها من المخالفات.

وكذلك ينبغي للمفتي أن يكون مطلعا على ما يجري حوله، مدركا الأمور على حقائقها، حتى لا يستغل

[1] مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ج: 8، ص: 235.

غفلته بعض من تبنوا أفكار التطرف، فيوجهون إليه أسئلة في طابع الدفاع عن الدين والغيرة عليه، وإنما مرادهم استصدار فتوى لصالحهم تبيح لهم أنواع العنف والغلو، فعلى المفتي أن يتنبه لهذا، وإلا كان ألعوبة في أيدي أصحاب التطرف والغلو.

3. التحذير من الجماعات الحاملة للأفكار المتطرفة:

عندما يقتصر التطرف على أشخاص، أو أفكار تدور هنا وهناك، قد يكون من السهل نوعا ما مواجهتها واستيعاب خطرها، لكن عندما يتبنى هذه الأفكار جماعات وأحزاب وتسعى هذه الأخيرة لتحقيقها في أرض الواقع مستعملة في ذلك كل الوسائل بما في ذلك السلاح، فهنا يزداد الأمر خطورة ويصبح أكثر تعقيدا، وما ذاك إلا لأن هذه الجماعات قد يكون لها مراكز تسعى لبث هذه الأفكار، وقد تسخر لنشرها بعض القنوات الفضائية، ووسائل التواصل.

وهنا يظهر الدور الفعلي للمفتي، ومدى تأثيره في المجتمع، فعليه أن يكون حازما في التحذير من هذه الجماعات، بل وتسميتها للناس حتى لا يغتر بها من يغتر، وذلك من خلال:

_ ذكر هذه الجماعات بأسمائها وتحذير المجتمع من خطرها.

_ بيان قواعد وأصول التي تسير عليها هذه الجماعات، وبيان مدى مخالفتها لشريعة الإسلام.

_ تسمية رؤساء وزعماء هذه الجماعات وهذا إن دعت الحاجة لذلك، مع بيان ما سببوه من أضرار على الأمة الإسلامية.

وقد يلقى المفتي تهديدا من هذه الجماعات، فلا يحمله هذا على المداهنة والسكوت عن بيان الحق ورد الباطل، فما تبوأ هذا المكانة إلا ليحمل هذه الأمانة على عنقه فيستشعر أنه في جهاد.

وهنا تظهر فائدة هيئات ومراكز الإفتاء، فصدور فتوى في التحذير من هذه الجماعات المتطرفة كالقاعدة وداعش، وغيرها ممن يحمل مثل هذه الأفكار، من قبل جماعة من المفتين له أثر كبير في نفوس الناس، وهذا أدعى إلى قبولها والأخذ بها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو أدعى لحماية هؤلاء المفتين من ردة فعل هاته الجماعات بعد التحذير منها، لكونهم منضوون تحت هيئات ومؤسسات حكومية تسهر على حمايتهم والدفاع عنهم.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن الخلوص إلى أهم النتائج المتوصل إليها، ومنها:

1. بيان مفهوم الفتوى وضوابطها، وهذا من الأهمية بمكان حتى نميز بين الفتاوى الشرعية الصحيحة وبين غيرها.
2. تعريف المفتي وبيان أهم وشروطه وصفاته، وما ذاك إلا للتمييز بين أهل الفتوى وبين من دخل فيها وليس من أهلها.
3. بيان مفهوم الفكر المتطرف وأبرز سماته.

4. أخطر أنواع الغلو والتطرف هو الغلو في الدين، والانحراف في فهم أحكامه.
5. أهم مميزات الفتوى أنها مختصرة وسهلة الانتشار بين أفراد المجتمع.
6. ليس دور المفتي قاصرا على بيان الأحكام والإجابة عن استشكالات الناس بقدر ما هو في تمثيل الإسلام وبيان محاسنه، وصد كل فكر دخيل عليه.
7. دور في المفتي في التصدي للفكر المحرف يتجلى في ثلاث نقاط أساسية وهي:

أ_ بيان وسطية الإسلام وسلامته من الأفكار المتطرفة.

ب_ تحذير فئات المجتمع وخصوصا الشباب من الأفكار المتطرفة.

جـ_ التحذير من الجماعات الحاملة للأفكار المتطرفة.

توصيات:

وقد ظهر لي خلال البحث مجموعة من التوصيات أذكر بعضها:

1. ضرورة تفعيل دور الفتوى في أوساط الناس، وذلك بإنشاء مراكز للإفتاء يقوم عليها أشخاص من ذوي الكفاءات العالية والرصيد العلمي الكبير.
2. إبراز أهمية الفتوى ومكانتها، وذلك من خلال توعية الناس وخصوصا الشباب، بضرورة الرجوع إلى المفتين في حل قضاياهم وعلاج ما يستجد عليهم من الأفكار والآراء، وعدم الانصياع وراء كل فكر أو مذهب، وقد يكون هذا من خلال إقامة الدورات والمحضرات العلمية.
3. إنشاء مراكز للفتوى في الجامعات، وذلك لأن الجامعة تمثل أكبر تجمع شباني، ومع تعدد الأفكار واختلافها في الوسط الجامعي، تصبح الحاجة ملحة لوجود مفت يبين الأحكام ويجيب عن استشكالات الطلاب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1. الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، صالح بن فوزان الفوزان، جمع وإعداد: محمد بن فهد الحصين، الدار الأثرية، الجزائر، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.
2. أدب المفتي والمستفتي: أبو عمرو ابن الصلاح ، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الثانية – 1423هـ-2002م.
3. إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1991م.
4. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله الحنفي، المحقق: يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: 2004م-1424هـ.
5. بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو: مجموعة من العلماء، الناشر: وزارة

الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1425هـ.

6. التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة: نادى محمود حسن، مداخلة علمية ضمن المؤتمر الدولي السابع والعشرون، بعنوان: دور القادة وصانعي القرار في نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب والتحديات، بإشراف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
7. التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ – 1986م)، الطبعة: الأولى، 1424هـ – 2003م.
8. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المناوي، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت– القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ–1990م.
9. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ –2000 م.
10. صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البُستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية 1414هـ – 1993م.
11. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الناشر: دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ .
12. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الناشر : دار الجيل – بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ.
13. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي: أحمد بن حمدان بن شبيب الحنبلي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1397هـ.
14. ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية: محسن صالح ملاني، مكتبة بزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1428/2007م.
15. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، المحقق: محمد تامر حجازي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2004م.
16. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
17. فتح المأمول شرح مبادئ الأصول: محمد علي فركوس، دار الموقع، الجزائر العاصمة، الطبعة الرابعة، 1432هـ/2011م.

18. الفقيه و المتفقه: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ.
19. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية 1408 هـ/ 1988 م.
20. لسان العرب: ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 ه.
21. مجمل اللغة لابن فارس: ابن فارس،، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م.
22. معجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
23. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.
24. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت – لبنان.
25. جامع الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت – لبنان، سنة النشر: 1996 : 1998م.
26. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ج: 8، ص: 235.